الأصول السياسية عند الإباضية

م. م. نور سمير محمد
جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، قسم العلاقات الاقتصادية الدولية، بغداد \ العراق

The Political Origins of the Ibadhiyah

Assist. Lect. Noor Samir Mohammad
Al-Nahrain Univ., College of Political Sciences,
Dept. of Inter. Econ. Relationships, Baghdad / Iraq
Noor.samir@nahrainuniv.edu.iq

المستخلص

عرفت الامة الإسلامية العديد من الخلافات والانقسامات كانت نتيجة الاختلاف حول مسألة الامامة والتي كانت أول مشكلة سياسية أختلف حولها المسلمين، والإباضية كغيرها من الفرق والمذاهب الأخرى كان لها الدور في هذه الخلافات وذلك من خلال الآراء التي تبنتها حول الامامة وشروطها.وكانت قد ساهمت الاباضية في اثراء الفلسفة الإسلامية فقد جمعت الى ارائها الفقهية والكلامية مواقف واضحة و مبادئ ثابته في السياسة، وبذلك انتجت نظرية مميزة في الفلسفة السياسية عند المسلمين. وبالرغم من خلافات الاباضية مع الفرق والمذاهب الإسلامية الأخرى في مسائل عديدة الا انها امتازت بمواقفها المعتدلة والتي كانت سبباً في بقائها و بروزها كمذهب إسلامي معتدل استمر منذ المُكّمة الأولى الى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: الإباضية، الامامة، الشراة، المذهب.

Abstract

The Islamic nation experienced through many divisions as a result of disagreement over the issue of the Imamate, which was the first political problem in which Muslims disagreed. Ibadhiyah, like other groups, have played a role in these differences, through the views adopted on the Imamate and conditions, has contributed to the enrichment of Ibadism in Islamic philosophy has gathered to the views of jurisprudence and verbal clear positions and fixed principles in politics, among Muslims, and since the Ibadhiyah did not study their views. Although Ibadhiyah Differences with other Islamic Groups on Several Issues , but Its Possessed Moderate Position , Which it Was and Still the Reason for Its Survival and Its Emergence as a Moderate Islamic group , and Made It Last from the First Court to the present day.

Keywords: Ibadism , The front , Buyers , Doctrine

المقدمة

إنَّ البحث في موضوع الاباضية يعد بحثا بكراً لم يطرقه طارق فيما نعلم، لذلك أراد الباحث التعريف بهذا الفكر الذي يُعد جزءاً حياً منَّ الكيان الاسلامي. فضلاً عن وجود ثغرة بين الاباضية والمذاهب والفرق الاخرى، ترجع الى عدم المعرفة بأصولها واحوال نشأتها، الامر الذي يجعل الكتابة في أصول الفكر الإباضي منَّ خلال تراثها الفكري، فضلاً عن إنَّ البحث في موضوع الاباضية هو جديد منَّ نوعهُ ولم يحظ باهتمام منَّ الباحثين مقارنة بالمذاهب والفرق الاخرى كالمعتزلة والاشاعرة والشيعة.

تعد الإباضية منَّ أقدم المذاهب الاسلامية التي تعود نشأتها الى النصف الاول منَّ القرن الاول الهجري، وتم إنَّشاؤها على يد الامام جابر بن زيد الازدي وقد أخذت اسمها منَّ عبد الله بن إباض أحد فقهائها الاولين. لقد تكونت ملامح هذا المذهب في البصرة بوصفها تنظيماً سرياً مَحكماً يتبنى آراء الجماعة التي انشقت عن الامام علي بن ابي طالب بعد قبولهُ التحكيم في معركه صفين. واطلقوا على أنفسهم بـ (جماعة المسلمين، أهل الدعوة، أهل الحق، أهل الدعوة والاستقامة).ويُعدّ بداية ظهور الاباضية كفرقة مستقله بآرائها معينة بأتباعها واعلامها كان ذلك تدريجياً وعلى عدة مراحل استغرقت عقداً منَّ الزمنَّ الى ان استطاعت ان تكون مذهباً اسلامياً مستقلاً ومعتدلاً لها اجتهادها و أصولها الخاص بها. اما فكرهم السياسي لا يميل الى الثبات والاستقرار، بل يتبدل بتبدل ما يعرف عند الإباضية بمسالك الدين. وهو الطريق الذي يتوصل بها الى إنَّفاذ الاحكام الشرعية. حسب اوضاع الاباضية (قوة وضعف)، وهي تجسد انواع الامامة عندهم وهذا ما سنتناوله بالتفصيل عند الحديث عن اصولهم السياسية.

مُشكلة البحث :

ترتكز مُشكلة البحث بالتعريف بـ من هم الإباضية ؟ وكيف نظروا للإمامة؟ وما شروطها ومؤهلاتها عندهم؟.

فرضية البحث :

ان الإباضية وإن كانت في بداية نشأتها جزءاً من الخوارج، غير انها تمتلك فكراً سياسياً خاصاً بها كمذهب ديني. ولأصولها أهمية انعكست على هذا الفكر والتي تتمحور حول الامامة وشروطها وكل ما يتعلق بالسلطة السياسية التي يميزها عن باقي المذاهب والفرق الأخرى.

المناهج المستعملة :

استخدم الباحث منهج دراسة حالة المذهب منذ ظهوره وحتى تأسيس دولة لهم و استقلالهم كمذهب مستقل معتدل ومن ثم مقارنته مع الفرق والمذاهب الأخرى.

هيكلية البحث :

قسمت البحث الى مبحثين فضلاً عن مقدمة بكل تفاصيلها الموضوعية، المنَّهجية، وخاتمة للبحث.

فقد تناولنا في المبحث الاول، اصل الإباضية وأحوال نشأتها وتكوينها في مطلبين اختص المطلب الاول في التعرف بالإباضية وأصل تسميتها، وفي المطلب الثاني تعرفنا على جذورهم التاريخية. اما المبحث الثاني فتحدثنا فيه عن الأصول السياسية عند الاباضية والذي جاء بـ ثلاث مطالب الاول يتحدث عن مفهوم الامامة وما هي طرق انعقادها، حيث تناولنا التعريف بالإمامة و وجوبها و وحدتها، والمطلب الثاني فتحدثنا عن شروط الامام ونصبه والخروج عليه. اما المطلب الثالث فتحدثنا فيه عن أنواع الامامة وشروطها.

المبحث الأول \ التعريف بالإباضية واصول التسمية

حفل التاريخ الاسلامي بالعديد من قضايا الثورات والتمرد والخروج، وقد شهدت الامة الاسلامية انقسامات حول الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان وتولي الامام علي زمام الامور.

أدت هذه الانقسامات والصراعات الى ظهور العديد من الفرق والمذاهب ومن أهم هذه المذاهب التي سنتناول البحث عنها هي الاباضية والتي تنسب الى الخوارج.

وتعد من أقدم المذاهب الاسلامية وأكثرها اعتدالاً وأقربها الى المذهب السني وأطولها بقاءً ولايزال اتباعها يعيشون الى يومنا هذا في سلطنة عمان وفي جبل نفوسة وجزيرة جربه بتونس وفي مزاب في الجزائر.

المطلب الأول \ التعريف بالإباضية و اصل التسمية

أولا \ الإباضية لغة

اباضية (اسم) الاباضية (الفلسفة والتصوف) فرقة من فرق الخوارج شاع أمرها في أواخر الدولة الاموية، وتنسب الى عبد الله بن اباض التميمي، انتشرت في الكوفة والبصرة ثم انتقلت الى المغرب، ومازالت موجودة حتى اليوم في بلاد المغرب وسلطنة عمان"[1].

كما تعرف اباض: "عرق في الرجل"، وعبد الله بن اباض التميمي، "نسب اليه الاباضية من الخوارج" [2]. واباض: "قرية باليمامة لم ير أطول من نخيلها"[3].

ثانياً \ الاباضية اصطلاحاً

تعرف الاباضية "هم اتباع عبد الله بن اباض ثم هم فيما بينهم فرق وكلهم يقولون ان مخالفيهم منَّ فرق هذه الامة كفار لا مشركون ولا مؤمنون" [4].ويعرفها الباروني: "اما

1- احمد مختار عمر،معجم اللغة العربية المعاصرة، مجلد1، ط1، القاهرة، عالم الكتب،2008، ص 54.

2- مجد الدين الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة،2005،ص 636.

3- ابن منظور، لسان العرب، ج1، ط3، بيروت، دار احياء التراث العربي، 1999، ص 46.

4- علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث،ط2، سلطنةعُمان، وزارة التراث القومي، 1994، ص 49.

هذا المذهب الاباضي في القرن الاول من الهجرة فهو أقدم المذاهب الاسلامية على الاطلاق، إذ إنَّ امامهم المنسبون اليه عبد الله بن اباض التميمي كانت له مراسلات ونصائح لعبد الملك بن مروان تحتم عليه انّ يعمل بأوامر الشرع، فيعدل الحكم بين الناس ليستوجب الطاعة التي يدعوهم اليها"[1]. والاباضية هي احدى فرق الخوارج، وتنسب الى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، ويدعي أصحابها أنهم ليسوا خوارج، وينفون عن أنفسهم هذه النسبة، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالازارقة، مثلاً لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة [2].ومن مجمل هذه التعاريف نخرج بتعريف خاص للإباضية على أنهم أتباع جابر بن زيد سموا بالإباضية نسبة الى متحدثهم الرسمي عبدالله بن اباض وهم أحدى فرق الخوارج ويتسمون بالاعتدال والتسامح ويعدون من اقدم الفرق والمذاهب نشأة ولايزالون موجودين لحد يومنا هذا في اقطار المغرب العربي.

ثالثاً \ أصل التسمية

تنسب الاباضية الى عبد الله بن اباض أحد أئمتهم المشهورين[3]. والإباضية تسمية اطلقها عليهم الامويين نسبة الى أبيه اباض بن تميم اللات بن ثعلبة التميمي[4]. ونسبة الاباضية الى عبد الله بن اباض هي نسبة اصطلاحية فنسبهم في الواقع هو الى الامام جابر بن زيد الازدي أبي الشعثاء[5].

إذ كان اكثر الاباضين يعودون بأصولهم الى هذا الامام وجعلوه الامام الحقيقي لهم وقد أثبتت بعض الدراسات انَّ جابر بن زيد انما هو أمام للإباضية في الفقه فحسب[6].

1- محمود اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد الغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري،ط1، دار البيضاء، مطبعه النجاح الجديدة، ب ت، ص 51.

2- مانع بن حماد الجهني وآخرون، الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، مجلد1، ط5، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ب ت، ص85.

3- علي يحيى معمر، الاباضية مذهب اسلامي معتدل،ط2، سلطنة عُمان، وزارة الاوقاف والشؤن الدينية، ب ت، ص 9.

4- عدون جهلان، الفكر السياسي عند الاباضية من خلال اراء الشيخ يوسف اطفيش،سلطنة عُمان، مكتبة الضامري، ب ت، ص19.

5- ناصر سليمان بن سعيد السابعي، الخوارج والحقيقة الغائبة، ط1، ب م، ب د،1999، ص117.

6- عبد اللطيف بن عبدالله القادر الحفظي، تأثير معتزلة في الخوارج والسنة، ط1، جدة، دار الاندلس الخضراء، 2000، ص ص311 312-.

وقد نسبوا الى ابن اباض نظراً الى مواقفه السياسية البارزة من خلال مراسلاته مع الخليفة عبد الملك بن مروان، ومخالفته مع نافع بن الازرق وأصحابه[1] وكذلك تصديه لآراء ومقولات المناوئين لهم، من دحض لآراء الجماعات المعارضة كغلاة الخوارج المرجئة[*]. اما الاباضية فقد كانوا يسمون أنفسهم بجماعة (أهل الدعوة، أهل الاستقامة) ولم يعرفوا بهذه التسمية (الاباضية) الا بعد وفاة جابر بن زيد، ولم يعترفوا بهذه التسمية الا بعدما انتشرت على السنة الجميع[2].

و يمكن القول من ناحية أخرى أنَّ السبب الاول في عدم نسبة الاباضية الى مؤسسها الحقيقي الامام جابر بن زيد الى انَّ الأوضاع فرضت على جابر أنَّ يعمل في الخفاء بعيدا عن أعين المخالفين.ومن ثم يمكن القول بأن تسمية الاباضية لا تعني انَّ عبدالله بن اباض هو الزعيم الروحي للمذهب وبأن غيره هم التابعون له-كما يدعي بعض المؤرخين وكتاب المقالات، ونستدل بذلك بأجماع المؤرخين الإباضين على أن عبدالله بن اباض كان يصدر في كل أقواله وأفعاله عن جابر بن زيد[3].يمكننا القول بأن تسمية الاباضية قد أطلقها عليهم مخالفوهم ولم يخترعها اتباع هذا المذهب[4] ولكن مع مرور الزمن ومع اصرار مخالفيهم على تسميتهم بهذا الاسم، قبلوا به وخاصة أنهم لم يجدوا فيه ما يؤذيهم أو يسيء الى سمعتهم[5].واخيراً فالإباضية قديماً وحديثاً يجمعون على انَّ الاسم الحقيقي لهم ليس الاباضية و أنما التسمية المفضلة لديهم هي أهل الاستقامة[6] أو أهل الدعوة أو جماعه المسلمين كما ذكرنا سابقا.

1- ناصر سليمان، مصدر سبق ذكره،ص17.

* هي احدى الفرق الكلامية التي تنسب الى الاسلام واراء وعقائدية، خاطئة في مفهوم الايمان، ينظر الى مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، مصدر سبق ذكره،ص590.

2- علي يحيى معمر، الإباضية مذهب اسلامي معتدل، مصدر سبق ذكره، ص2.

3- عـوض محمـد خليفات، الاصـول التاريخية للفرقة الاباضية، ط3، سـلطنة عُمـان، وزارة التراث القومـي والثقافة، 1994، ص9.

4- سـالم بـن حمود السـيابي، ازالة الوعثـاء عن اتباع ابي الشـعثاء، سـلطنة عُمـان، وزارة التراث القومـي والثقافة، 1979، ص49.

5- عوض محمد خليفات، التنظيمات السياسية والادارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان، سلطنة عُمان، مسقط، ب د، ب ت، ص5.

6- عوض محمد خليفات، الاصول التاريخية للفرقة الاباضية، مصدر سبق ذكره، ص5.

المطلب الثاني \ الجذور التأريخية

صاحبت الامة الاسلامية خلافات بعد الفتنة الكبرى لمقتل الخليفة عثمان بن عفان. وكانت هذه الانقسامات نتيجة الاختلاف حول مسألة الخلافة التي كانت أول مشكلة سياسية أختلف حولها المسلمين، والتي أسست نقطة تحول في تاريخهم إذ انقسموا فيما بينهم الى أحزاب وفرق وتبينت كل واحدة منها افكارها الخاصة بها، والمتعلقة بالعقيدة والسياسة. ان هذا الاختلاف والتباين قد طال هذه الفرق، فأنقسموا الى عدة تيارات، منهم الخوارج الذين تفرعوا لفرق كثيرة، ومن بين هذه الفرق الاباضية التي كانت أكثر فرق الخوارج اعتدالاً، وكان سبب الانقسام هذا هو الاختلاف في المبادئ التي تبنتها والتي نادت بها، ومنَّ أهم هذه المبادئ هو مبدأ الامامة والخلافة التي كانت من أهم نقاط الخلاف.والاباضية كغيرها من الفرق والمذاهب الاخرى التي كان لها الدور في الخلاف من خلال الآراء التي تبنتها حول شروط الامامة أو الخلافة، وسنبحث في هذا المطلب كيف ظهر كل من الخوارج والإباضين.

اولاً \ معركة صفين

في الاربعاء الاول من شهر صفر سنة 37هـ تلاقى الجيشان الاول والذي أنطلق من العراق بقيادة الامام علي بن أبي طالب، والثاني بقيادة معاوية بن ابي سفيان في معركة صفين[1]، وكانت واحدة من أعنف المعارك التي دارت بين المسلمين[2]، وبعد قتال دام اياماً بدأ النصر يكون حليفاً للإمام علي ومن معه، عندئذ لجأ أهل الشام الى القيام بأعمال الحيل والمكائد من أجل التخلص من الخطر الذي اوقع بهم، فقد أشار عمرو بن العاص على معاوية بأن يرفع المصاحف على الرماح ليتفرق جيش الامام[3].

1- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك،ج4، مصر، دار المعارف، ب ت، ص 561. وينظر أيضاً: محمد قرقش، عمان والحركة الاباضية، ط2، سلطنة عُمان،مكتبة مسقط،1994،ص،ص 53،61.

2- ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار الصادر، ب ت،ص414. وينظر أيضاً: عبدالله بن عبدالعزيز البكري الاندلسي، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ج3، ط3، لبنان، بيروت، عالم الكتب،1983،ص ص 837-838. وأيضاً: محمد ابراهيم الفيومي، الفرق الاسلامية وحق الامة السياسي، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1998، ص 55.

3- ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين،ط2، القاهرة،المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، ب ت، ص ص 479 – 478. ينظر أيضاً: عبد الرحمن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج5، لبنان – بيروت، دار الكتب العلمية، ب ت، ص. ص -121 120.

أدرك الامام علي الغرض من رفع المصاحف على الرماح فالحَّ على مواصلة القتال وعدم الاستسلام بما صنعه الشاميون-كما قال الامام علي - ما فعلوها الا خديعة ودهاءً ومكيدة[1]، بالإضافة الى انَّ هناك عدداً من جيش الامام علي والمتمثل بالأكثرية من قادته وخيرة اصحابه كان رافضا لوقف القتال والاستجابة الى دعوة أهل الشام.ولكن سرعان ما أستجاب قسم كبير من أهل العراق الى فكرة الاحتكام الى القرآن وترك القتال، وفيهم ايضا بعض أكابر اصحاب الامام علي، واخيرا وبعد حوار وجدال بين الامام وأصحابه توقف القتال ووضعت الحرب أوزارها[2].وبعد وقوف القتال سار الاشعث بن قيس الكندي وهو أحد ممن أصروا على وقف القتال بأمر من الامام علي الى معاوية ليسأله عن دواعي رفع المصاحف فقال له معاوية: " لنرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله به في كتابه، تبعثون منكم رجلاً ترضون بهِ ونبعث منا رجلاً ثم نأخذ عليهما انَّ يعملاً بما في كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه "[3] ورجع الاشعث الى الامام علي فأخبره بالذي قاله معاوية فقبل علي بذلك. وبعد مناقشات ومداولات على اختيار ممثل عن كل جانب فقد أختار أهل الشام ومنَّ دون خلاف عمرو بن العاص ممثلاً لهم لفطنته ودهائه، في حين أهل العراق، كان أمرهم مختلفاً، إذ اراد الامام علي ان يختار عبدالله بن عباس كممثل عنهم، لكن الكثيرين من جيشه رفضوا هذا الاختيار، وأتهموا عليا بأنه يريد ارسال ابن عمه كي لا يحكم ضده، أو في الاقل لم يعودوا يؤمنوا بهِ بعد انَّ حصل خلاف معه حول ايقاف القتال من عدمه، وقد كان على رأس المطالبين بعدم تحكيم بن عباس (الاشعث بن قيس) وقد أشار الأخير بأنه من الافضل اختيار (أبي موسى الاشعري) الذي كان والياً على الكوفة فعزله الامام علي عنها لأنه كان يثبط الناس ويدعوهم الى عدم مبايعة الامام علي[4].

1- للتفاصيل ينظر : محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج5، ط2، مصر، دار الكتب العلمية،1971، ص، ص 48-56.

2- ابـن مزاحـم المنقـري، مصدر سـبق ذكـره، ص ص 498 - 499. وينظر أيضـاً: عبد الرحمن الجوزي، مصدر سـبق ذكره، ص 122.

3- السيد المرعشي، شرح احقاق الحق، ج32، ط1، ب م، ب د، 1996، ص 522.

4- للتفاصيل ينظر : هشام جعيط، الفتنه جدلية الدين والسياسة في الاسلام المبكر، ترجمة : خليل احمد، ط6، بيروت، دار طليعة، 2008،ص،ص 184، 241.

وبهذا فقد تنازل الامام علي عن حقهُ المشروع ورضى، وبذلك قام الامام بمليء صحيفة الصلح، ومن ثم كتب كتاب التحكيم(*) ومفاده التزام الحكمين بحكم القرآن في القتال الدائر بين الطرفين، والتزام موكليهما – علي و معاوية – بقبول نتيجة التحكيم.وبعد ذلك قام الاشعث بن قيس بأخذ الكتاب وتمريره على الناس ويقرأه عليهم، فعارضه أفراد من قبائل عدة، وعند مروره بطائفة من بني تميم عارضه عروة بن اديه التميمي(**) فقال لهم "لأحكم الا لله"(1) وقد تلقى هذا النداء قبول واسع في صفوف جيش الامام علي، خاصة الذين كانوا ممانعين لوقوف القتال، وبذلك تعالت الاصوات من كل مكان "لا حكم إلا لله". وبذلك فشا التحكيم(***) عند الجيش العراقي فحاولوا ان يفرضوا على علي أمرا وهو القيام بنقض الميثاق ورفض توقيع كتاب الصلح(2).

و في النهاية يمكن اجمال نتائج موقعة صفين الى انقسام المسلمين على ثلاثة احزاب وهي(3):

1 – حزب الامام علي بن ابي طالب وأطلق عليهم اسم الشيعة.

2 – حزب معاوية بن سفيان وأطلق عليهم أهل السنة أو الجماعة.

3 – حزب المحكمة والتي أطلق عليهم عدة تسميات ومن أهمها الخوارج ومنهم الاباضية.

---

* التحكيم في اللغة هو ان تجعل الحكم فيما لك لغيرك، اما في الاصطلاح فيعني تولية الخصمين حاكما يحكم بينهما. ينظر: محمد امين(ابن عابدين)،رد المحتار على الدر المختار شرح تنويرالابصار،ج8،الرياض، دار الكتب،2003، ص 125. وأيضاً: قحطان الدوري، عقد التحكيم في الفقه الاسلامي والقانون الوضعي، ط2، عمان، الأردن، دار الفرقان، 2002، ص 21

** عروة بن عمرو بن حدير، من ربيعة بن حنظلة. ويسمى أيضاً ب عروة بن اديه، واديه هي جدته، ويعتبر عروة هو اول من حكم ب"صفين" واخذه (عبيد الله بن زياد) فقتله، وصلبه في مقبرة" بني حصن " ب البصرة. ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ط4، القاهرة، دار المعارف، ب ت، ص 410.

1- احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، جمل من انساب الاشراف، ج3،ط1، بيروت،دار الفكر، ب ت، ص 110. وينظر أيضاً: علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج 2، بيروت، مكتبة العصرية، 1988، ص 305

*** التحكيم هنا هو قولهم "لا حكم الا لله"، ينظر الى: ابن منظور، لسان العرب، ج12، بيروت، دار صادر، ب ت، ص 142 ولعله مأخوذ من حكمت الرجل وتحكيما: اذا منعته مما اراد. ينظر: اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج5، ط4، بيروت، دار العلم للملايين، 1990، ص 1902.

2- جعفر السبحاني، بحوث في الملل والنحل دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الاسلامية،ج5، ط1،ايران، مؤسسة الامام الصادق، 2007، ص 77.

3- محمد صابر عرب، الدولة في الفكر الاباضي، ط3، القاهرة، دار الشروق، 2014، ص 38.

ثانياً \ المُحكمة أو الحرورية

رجع جيش الامام علي الى الكوفة بعد توقف القتال في صفين، وبعد ان تم الاتفاق مع معاوية على تحكيم الحكمين في شهر رمضان بدومة الجندل(*)[1].

أما الطائفة التي كانت تصر على استمرار القتال ضد جيش معاوية فقد رفضت البقاء تحت لواء جيش الامام علي، بسبب اختلاف في وجهات نظرهم، فرأت انَّ تختار لنفسها قرار بالانفصال عن جيش الامام، والتوجه الى الحروراء(**)، وبذلك لقبوا باسم المكان الذي نزلوا فيه [2] وكان ذلك قبل وصول جيش الامام علي اليهم. وبعد وصول جيش الامام علي دخل أهل الحروراء في نقاشات عديدة مع جيش الامام، محاولة منهم بأقناع الامام علي بفكرتهم لكن باتت محاولاتهم من دون جدوى، توضح لنا هذه الحوارات على سياسة الحروريين وعلى موقفهم وتأصيل مبدأهم في استمرار القتال[3]. وقد اختاروا عبد الله بن وهب الراسبي اماما لهم وكتبوا الى انصارهم في البصرة لملاقاتهم في النهروان، إذ اجتمع منهم حوالي خمسمائة بقيادة مسعر بن فدكي التميمي[4]. أما بالنسبة الى التحكيم فلما حلَّ شهر رمضان، أتفق عمرو بن العاص وأبو موسى الاشعري على ان يخلعا أئمتهما ويدعى الامر للمسلمين ليختاروا بأنفسهم امامهم الذي يرغبون فيه. قدم عمرو ابا موسى ليعلن على الناس ما أتفقا عليه بحجة انهُ الاكبر سنا فتقدم الاشعري فخلع عليا ومعاوية، ثم تنحى وأقبل عمرو فقال "أنا أخلع صاحبه كما خلعهُ وأثبت صاحبي معاوية"[5]. ومن هنا نرى صدق من خالف مسألة التحكيم ويتضح لنا السبب الرئيس من هذه الخدعة.

---

* دومة الجندل: بالكوفة والنجف الاشرف محلة منها ويقال اسمها دومة لان عمر لما اجلى اكيدر صاحب دومة الجندل قدم الحيرة فبنى فيها حصنا وسماه دومة، وقيل دومة على سبع مراحل من الشام سميت دومة لان حصنها مبني بالجندل. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، بيروت، دار الصادر، ب ت، ص ص 486-487.

1- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 2، بيروت، دار الفكر، 2000، ص 634.

** حروراء هي قرية بظاهر الكوفة وقيل موضع على ميلين منها، ينظر: ياقوت الحموي،ج 2، مصدر سبق ذكره، ص 245.

2- محمد بن سعيد القلهاتي، الكشف والبيان،ج 2، مصر، ب د،1980،ص ص 239 – 240. ينظر أيضاً : محمد بن سعد الزهري، كتاب الطبقات الكبير، ج 3، ط1،القاهرة، مكتبة الخانجي،2001، ص 30.

3- محمد بن جرير الطبري، ج5، مصدر سبق ذكره، ص ص64 – 65.

4- محمد بن جرير الطبري، ج5، مصدر سبق ذكره، ص ص 75-77.

5- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ط10، لبنان -بيروت، دار الفكر المعاصر، سوريا – دمشق، دار الفكر، 1991، ص 550. وينظر: محمد جرير الطبري، ج5، مصدر سبق ذكره، ص ص 70-71.

ثالثاً: موقعة النهروان

لقد كان الحكم مفاجئاً للإمام علي وأصحابه، مما أدى الى أنّ يجمع قواه وجنوده ويتوجه بهم الى الشام لاستكمال القتال، وبعث الى أهل النهروان ليعلمهم بما جرى عنه في قضية التحكيم ومطالبا لهم بالعودة الى صفوفه استعدادا لقتال معاوية وجنده من أهل الشام، ولكنهم ردوا عليه برفض الانضمام اليه، فآيس منهم وتركهم متوجها الى أهل الشام حتى بلغ النخيلة(*) وعسكر بها[1].

وفي ذلك الوقت صادفت ان اقبلت جماعة من أهل البصرة ممن ينكرون التحكيم ليلحقوا بأصحابهم في النهروان وكانوا بقيادة (مسعر بن فدك التميمي)(**) فلقوا في طريقهم (عبدالله بن خباب بن الارت)(***) فقتلوه، بعد حوار معه بين فيه مناصرته للإمام علي، ثم توجهوا الى النهروان[2]. وصل خبر مقتل عبدالله بن خباب الى الامام علي فقرر وبعد الحاح من الاشعث بن قيس وعدد من جيشه ان يحول طريقه الى النهروان بدلا من أهل الشام مطالبا اياهم بدم ابن خباب[3]. وتنقل بعض الروايات أنَّ علياً طالب أهل النهروان ان يسلموه القتلة وانهم قالوا "كلنا قتلته"[4]. ومن ثم نشب القتال بين الطرفين، وهناك

* النخيلة، موقع قرب الكوفة على جهة الشام، ينظر: محمد بن منعم الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ط2، بيروت، مكتبة لبنان، 1975، 1984،ص 576. وينظر أيضاً: ياقوت الحموي، ج5، مصدر سبق ذكره، ص 278.

1- ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، بيروت، مكتبة المعارف، 1992، ص 279. ينظر أيضاً: احمد بن يحيى البلاذري، مصدر سبق ذكره، ص ص 140-141.

** مسعر بن فدكي التميمي، او مسعود الفدكي جعله الامام علي اميرا على قراء اهل البصرة كما في كتاب صفين. ينظر الى: علي النمازي الشاهرودي، مستدركات علم الرجال الحديث،ج 7،ط1، قم، مؤسسه النشر الاسلامي، 2005، ص 408.

*** عبدالله بن خباب الارت، كان مواليا للإمام علي وكان ابوه من اصحاب الرسول محمد(صل الله عليه وسلم)فسألوه عدة اسئلة ومن ضمنها موقفه من الامام علي، فلم يعجبهم جوابه، فذبحوه، ويضيف الهاشمي الى انهم لم يكتفوا بذبحه وانما عمدوا الى زوجته وكانت حاملا، فشقوا بطنها واستخرجوا جنينها وذبحوه، ينظر: علي بن الحسين الهاشمي، وقعة النهروان او الخوارج،لبنان-بيروت، مؤسسة المفيد، ب ت، ص 55.

2- علي محمد الصلابي، فكر الخوارج والشيعة في ميزان اهل السنة والجماعة، ط1، القاهرة، دار ابن حزم، 2008،ص ص 32-33. ينظر أيضاً : ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ط2، الرياض، دار طيبة، 1985، ص 179. و: احمد بن يحيى البلاذري و كتاب جمل من انساب الاشراف، ج 3، لبنان – بيروت، دار الفكر، ب ت،ص ص 136-143. وأيضاً : احمد بن علي العسقلاني، فتح الباري، ج12، ب م، المكتبة السلفية، ب ت، ص 297. وأيضاً: احمد بن اعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 4، ط1، لبنان-بيروت، دار الاضواء، 1990،ص 255.

3- عبد الرحمن الجوزي، ج5، مصدر سبق ذكره، ص 132.

4- المصدر نفسه، ص 133.

روايات اخرى تروي ان مسعر بن فدكي لم يبقَ يقاتل في صفوف أهل النهروان لانهم طردوه قبل المعركة.كما يؤكد وقوع هذه الحادثة فقد ذكرها مصدر اباضي إذ يقول الشماخي: إنَّ أهل النهروان طردوا مسعر بن فدكي عندما علموا انه قتل عبدالله بن خباب[1]. إنَّ هذه الحادثة (حادثة مقتل عبدالله بن خباب) تؤكد لنا سبب نشوب معركة النهروان الذي اوردته لنا مصادر متعددة.وهكذا انتهت معركة النهروان[*] بهزيمة المحكمة (الخوارج) وانقسامهم، وكان سبب هذا الانقسام، هو ان فئة بقت مصرة على الانتقام بالعنف، بينما فضلت فئة الاخرى منهم على الالتزام بالهدوء وكانوا يكونون الاقلية ضعيفة لذلك قررت هذه الجماعة الرحيل الى البصرة[2]. بتأمل بسيط نلاحظ ان هناك كانت أيادي خفية وراء هذه المعركة فمن المؤكد يكون معاوية بن أبي سفيان له اليد في نشوب هذه المعركة من خلال مراسلاته مع بعض القاعدة الموجودين في جيش الامام علي كالاشعث بن قيس إذ يروي لنا محمود اسماعيل: "أنه هو الذي أوقع بين علي وبين أهل النهروان"[3].

اما سبب تأمر الاشعث مع معاوية هو ان الاشعث كان والياً على اذربيجان فلما أقدم الامام على الكوفة قام بعزله وأمر بمحاسبته فغضب وكتب الى معاوية[4] وهذا ما أكده معاوية إذ يقول: " لقد حاربت عليا بعد صفين بغير جيش ولا عناء"[5].وفي عام 40هـ في شهر رمضان تم اغتيال الامام علي على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي والذي لا يمت للمُحكَّمة بصلة[6]. وعلى أثره استشهد الامام وبايع أصحابه أبنه الحسن والذي آثر الصلح مع معاوية في العام اللاحق وتنازل على الخلافة حقنا لدماء المسلمين وقد عرف عام

1- احمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، ج1، ط2، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1992،ص 50.

* معركة النهروان والتي دارت بين الامام علي والخوارج الذي لم يجد سبيل اخر الا محاربتهم،في منطقة النهروان سنة 38هـ وقتل من الفريقين رجال كثيرون منهم عبدالله بن وهب الراسبي، وانتهت بهزيمة الخوارج. ينظر، علي محمد الصلابي، فكر الخوارج والشيعة في ميزان اهل السنة والجماعة، القاهرة، دار ابن حزم، 2008، ص 31.

2- عدون جهلان، مصدر سبق ذكره، ص ص 16-17.

3- اسماعيل محمد، قضايا في التاريخ الاسلامي منهج، ط2، المغرب - دار البيضاء، تطبيق دار الثقافة،1981، ص55.

4- احمد بن يحيى البلاذري، انساب الاشراف، ط 1، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، 1974،ص 296. ينظر أيضاً : باقر شريف القرشي، موسوعة الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب،ج 10، النجف الاشرف، مركز تحقيق علوم الاسلامي، ب ت، ص 167.

5- احمد بن يحيى البلاذري، مصدر سبق ذكره، ص 383.

6- محمد قرقش، مصدر سبق ذكره، ص 68.

الصلح بـ (عام الجماعة)[1].اما الناجون من المعركة فانهم رجعوا الى ديارهم بالكوفة والبصرة، وقاموا يدعون الى أفكارهم بدعوات سرية من أجل اقامة الخلافة الراشدة، فمنهم من تطرف ورفع السيف في وجه مخالفيهم بقيادة (نجدة بن عامر الحنفي) وسموا بـ النجدات، والازارقة بقيادة (الازرق بن نافع) إذ تم القضاء على ثوراتهم من ولاة بني امية المتعسفين، (وهؤلاء أطلق عليهم أكثر المؤرخين بالخوارج لأنهم فيما يزعمون خرجوا على الخليفة واستعملوا القوة في المعارضة)، ومنهم من اتبع طرق سلمية في دعوته ورفض الذهاب وراء الدعوات لاستعمال القوة ضد مخالفيهم، ولذلك سموا بالقعدة لأنهم قعدوا عن القتال وكان من رؤسائهم (أبو بلال مرداس بن حدير التميمي)[2].وهؤلاء القعدة كانوا هم بداية ظهور الاباضية اذ انضم اليه العالم الفقيه (جابر بن زيد الازدي العماني) والذي تزعمهم فيما بعد ووضع القواعد الاساس لهم، كما انضم اليهم (عبدالله بن اباض التميمي) والذي اصبح فيما بعد المتحدث الرسمي.اذاً يجدر بنا الاشارة الى أنَّ المصادر الاباضية الأولى تنفي نسب الاباضية الى الخوارج، على اساس أنه بمعنى الخروج في سبيل الله، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [3]، ليس بمعنى إخراج المسلمين من الاسلام ونعتهم بالشرك [4] وانما على اساس رفض التحكيم الذي قبله الامام علي. وبالتالي فمعنى الخروج والظروف التأريخية التي صاحبت ذلك فأنه يتوصل الى ان له معنيين:

- خروج سياسي كخروج الامام الحسين بن علي، وأبن الزبير، وبلال بن مرداس، والمختار بن عوف وغيرهم..
- خروج سياسي ديني، وهو الذي ابتدأه نافع بن الازرق، وسار عليه الخوارج من بعده.

وأذا كان الاباضية لم يسلوا سيفاً ضد الموحدين، فأنه من الخطأ إدماجهم ضمن الخوارج، ولا يجتمع الاباضية معهم مطلقاً إلا في مسألة رفض التحكيم [5].

1- محمد بن جرير الطبري، مصدر سبق ذكره، ص 163.
2- عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ط1، سلطنة عُمان، ب د،2002، ص 66.
3- سورة التوبة، الآية (46).
4- مصطفى بن محمد، الفكر العقدي عند الاباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، سلطنة عُمان، مكتبة الضامري، ب ت، ص59.
5- زاهر الحجري، الاباضية في الغرب الاسلامي، سلطنة عُمان، دار الجيل الواعد، 2012، ص ص 74-75. وايضاً : زهير تغلات، الفكر الاباضي – التجليات السياسية والحضارية، سوريا، دار الحوار، 2016، ص ص 20-21.

ومن ثم بدأت ملامح نشاة الاباضية في البصرة في القرن الاول الهجري بوصفها تنظيماً سرياً محكماً يتبنى آراء الجماعة التي انشقت، و تم تبني شخصيات أو مرجعيات مستقلة وخاصة، وبالتالي بدأت تتكون مقالاته السياسية والعقيدية والتشريعية. ومن ثمَّ نستنتج مما سبق أنَّ لهذه الجماعة بدايتين "المُحكَّمة التي يعبر عنها مصطلح الخوارج، وتنظيم البصرة والذي ظهر معه مصطلح الاباضية"[1].

1- ابي عبد المعز محمد علي، فتاوي منهجية، ينظر شبكة الانترنيت على الموقع الرسمي... https://:com.ferkous.

المبحث الثاني \ الأصول السياسية عند الإباضية
(الامامة عند الإباضية)

لم يتكون الفكر السياسي الإباضي فجأة خلال الصراع الذي نشأ بين الإمام علي ومعاوية كما لم تتحدد ملامحه خلال تلك المرحلة و أنَما قد تشكلت ملامحه عبر الحقب التاريخية اللاحقة والتي استغرقت ما يقارب القرنين، أي منذ أنَّ أقرَّ القادة (القراء) أنَّ قضية الخلافة لا يجوز الحكم فيها الا لله وحده. وبالتالي فقد نهج الإباضية طريقا مثاليا بين أوساط الناس في رؤيتهم لقضية الخلافة، مثالياً في فهم النص كما ترددوا كثيرا في الأخذ بالتأويل. فقد عني الفقه الإباضي عناية كبيرة بقضية السلطة لعلاقتها الوثيقة بمصالح الناس الدينية والدنيوية، ولذلك كان الاجماع مبدأ أساساً في تاريخ الإباضية. ولأهمية السلطة فقد اشترطوا في قيامها الشورى كما جعلوها فرضا من فروض الإسلام[1]. وبهذا فقد حدد الفكر الإباضي القواعد الاساس والشروط ومنها أنَ الإمام الضعيف لا يجوز له أنَ يقبض مالاً، ولا يولي واليا، ولا يخرج جيشا، ولا يحكم بحكم الا بمشورة المسلمين (أهل الحل والعقد)[2]. ونتيجة ما تعرض له الاباضيون من جور وظلم خلال الحكم الأموي قد ضاعف من تمسكهم بعقيدتهم والتي أكدت على العديد من المبادئ: الشورى، الوطن، الإمامة ومصالح الامة.

المطلب الأول \ مفهوم الإمامة و وجوبها و وحدتها

اولاً \ مفهوم الإمامة

الإمامة والخلافة والأمارة والرئاسة، عبارات مختلفة في اللفظ متفقه في المعنى العام[3] هي الرئاسة العامة في أمور الدين والدنيا لشخص – يدعى امام – وهي خلافة

1- احمد بن عبدالله بن موسى الكندي، المصنف، ج10، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1998، ص ص 39-60.
2- المصدر نفسه، ص8.
3- عدون جهلان , مصدر سبق ذكره، ص 122.

الرسول (ﷺ) في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة [1].وتعهد لمن هو أهل لها ويفرض على الرعية كافة طاعته واتباع أوامره، مالم يأمر بمعصية الخالق، ومن أهم مهامه الجوهرية هي إقامة الدين، وتطبيق احكام الله، والمحافظة على وحدة المسلمين، والدفاع عن الامة [2].

ثانياً \ مفهوم الإمام

وهو الخليفة والإمام: العالم المقتدى به، والإمام من يؤم به للصلاة[3]، وعرفه الجرجاني بقوله: "بأنَه هو الذي له الرئاسة العامة في الدين والدنيا جميعاً"[4].

والإمام ما أأتم به من رئيس وغيره والجمع أئمة [5] وكل من اقتدي به وقدم في الأمور فهو امام، ويقتدى بقوله وفعله [6]. وقد اجمعت الامة، على أنَ حدود الله لا تقام الا بالأئمة وولاتهم.لإمام هو فرض بالكتاب والسنة والاجماع والدليل من كتاب الله عزَّوجلَّ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمر مِنكُمْ﴾[7]. وقد اطلق الإباضية لفظة الإمام على ولاة امورهم، وابتعدوا عن مصطلح الملك والسلطان لأنَهما يوافقان مفهوم القوه والظلم. ويرى اطفيش من عدم تسمية الإمام العادل بالسلطان. ويرى سبب تشدد الإباضية في مسالة الاخذ بمصطلح السلطان أو الملك يعود الى خوفهم من السقوط في الاستبداد لأنَ الأنسان بطبيعة يغتر بما يحمله من القاب والإباضية حريصون على البقاء في رحاب الاختيار والشورى. وبذلك فهم (الإباضية) لا يريدون الخروج عن شعارهم «لا حكم الا لله» والشورى والاختيار.

وبهذا تعد مسالة الإمامة هي عمود الإباضية، وهي سبب اول خلاف وقع بين المسلمين، لأنَها من أهم الطرق التي يتم بموجبها تطبيق حكم الله تعالى، قال ابو المؤثر: "وأنَ من دين الله الإمامة، وهي حق الله، واجب على عباده لإقامة الحدود، وأنَصاف المظلوم

1- محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، مصدر سبق ذكره، 589.
2- عدون جهلان، مصدر سبق ذكره، ص ص 122-123.
3- احمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج1، ط1، مصر، مطبعة التقدم العلمية، 1901، ص14.
4- علي بن محمد الجرجاني، مصدر سبق ذكره، ص 33.
5- احمد بن محمد الفيومي، مصدر سبق ذكره، ص 14.
6- احمد بن عبدالله بن موسى الكندي، المصنف، ج10، مصدر سبق ذكره، ص 59.
7- سورة النساء، الآية (59).

والحكم بين الناس"[1]. وبهذا يتبين لنا أنَ الإمامة عند الاباضة هي عقد شرعي بين الإمام والرعية التي اختارته، وبموجب هذا العقد يكون للإمام على الرعية الولاية والطاعة، اما اذا أخلَّ بواجباته، فعلى الرعية أنَ تقوم بعزل الإمام والبراءة منه.

ثالثاً \ وجوب الإمامة

لقد أجمعت الفرق الإسلامية على وجوب الإمامة ماعدا النجدات والصفرية والازارقة[*] والاصم[**] وذهبت الشيعة الإمامية بأنَه يجب على الله تعالى نصب امام، مع أنَ الله تعالى لا يجب عليه شيء فهم تحت قهره وحكمه[2]. اما عند الإباضية فقد اعتنى الفقه السياسي بمسألة الإمامة ووجوبها اعتناء كبير، كما دقق في جميع تفاصيل الوجوب، فهم يرون بوجوب الخلافة واقامتها من المسلمين كما وينطلق الإباضيون في نظرتهم القائلة بضرورة إقامة الإمامة ويعدها فريضة كفرض الله الأمر بالمعروف والنهي والقيام بالعدل والحقوق والوجبات[3]. والإباضية عموما يرون نص الإمام، كما ينص الفكر السياسي لديهم أنَه اذا اتفقت الامة على تولية امام عادل أهل لتلك المسؤولة، فأبى أنَ يتقدم قتلوه، ونظروا في غيره، وكان ذلك أسوة بالخلفية عمر بن الخطاب في وصيته للصحابة (أهل الشورى) الذي كلفهم في اختيار الخلفية من بعده، إذ قام بأمرهم بقتل من يرفض الإمامة اذا أتفقوا عليه. وهذا ما فعله الإمام ابو عبيدة (مسلم بن ابي كريمة) مع حملة العلم[***] الى المغرب. ويذكر

1- فاروق عمر، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، ط 2، بغداد، مكتبة النهضة، 1985، ص 18.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

* الازارقة : وهم من فرق الخوارج.

** الأصم : هو عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم صاحب المقالات في الأصول وهو من المعتزلة الذين لا يرون وجوب الإمامة في الامة وكان فصيحا وفقيها وله تفسير عجيب. لمزيد من التفاصيل ينظر : محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد،مصدر سبق ذكره، ص588

3 -تبغورين الماشلوطي، أصول الدين او الأصول العشرة عند الاباضية، ط1، سلطنة عمان، مكتبة الجيل الواعد، 2005، ص145.

*** حملة العلم الى المغرب ومنهم:-

أ- ابو خطاب عبد الاعلى المعافري، الحميري اليمني، زعيم ديني وقائد سياسي عسكري، وصاحب رأي حصيف. ولاه حملة العلم على انفسهم بناءً على اخر شيوخهم ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة، للقيام بالدعوة سرا ثم الانتقال الى الظهور، اقام الامامة في طرابلس سنة 140 هـ دامت امامته 4 سنوات. اذ قتله جيش العباسيين في هجوم سنة 144هـ لمزيد من التفاصيل ينظر : احمد بن سعيد الشماخي، السسير، ج1، مصدر سبق ذكره، ص113.=

لنا اطفيش بقوله: " أنَ الأمر والنهي لا يتمانَ الا بإمام عدل، فنصبه واجب، اذا كان المسلمين على نصف عدوهم الي يخشون شكوته"[1]. وكان هذا رد اطفيش على القائلين بعدم وجوب نصب الإمام ودليلهم كان أنَ الأنسان تأبى نفسه أنَ يتولى عليها غيره، بالإضافة الى أنَ الإمام غير معصوم من الخطأ فقد يكفر ويحمل الناس على الكفر فيكفرون او يقاتلونه و يقاتلهم و بهذا سوف يكون الضرر أكبر.اذاً فالإباضية ترى أنَ الإمامة فرض واجب لأنَها ضرورية من أجل تطبيق الاحكام الالهية ونشر العدالة بين الرعية والعدل في توزيع الثروات و محاربة المرتدين[2].

رابعاً \ وحدة الإمام وتعددها

إنَّ من أصل الشرع أنَ يكون رئيس الامة وهو الإمام واحد. وهذا ما اشار اليه العلامة محمد رضا[3] الا أنَ المذاهب الإسلامية وفي ظل التطورات السياسية في المجتمع الإسلامي، وقد اختلف العلماء والفقهاء اختلافاً كبيراً حول مسالة تعدد الائمة بالنسبة للدول المتباعدة، أو حتى بالنسبة للدولة نفسها.وقد كان لكل واحد منهم وجهة نظر اعتمد عليها، فمنهم من

= ب- عاصم السدراتي، و نشأ في قبيلة سدراته، كان قوي البنية قوي الخلق حضر مجالس العلم، ثم سافر مع حملة العلم الى المشرق. ومكث معهم عند شيخهم ابي عبيدة خمس سنوات لم يتقلد عاصم مسؤولية معينة. بل اختير ليكون داعية يتجول في القرى للوعظ و الارشاد. و من تلاميذه تكونت النواة الاولى لكبار العلماء جبل نفوسة. قتل مسموما بالقثاء. في معركة في عهد الملزوزي. لمزيد من التفاصيل ينظر: احمد بن سعيد الشماخي، السير، ج1، مصدر سبق ذكره، ص 126.

ت- عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى الملك الفارسي، ان سلالة عبد الرحمن بن رستم هي التي حكمت المغرب، وعمرت الديار من الاسبان الذين تنازعوا في نسبهم، فمنهم من يقول انهم من اهل اصبهان من ملوك الفرس الاوائل، ومنهم من يرى بأنهم من ملوك الاندلس اللذارقة، و المسعودي مع الرأي الاخير. اما الاباضية فيجعون سلالته من الملك الفارسي. اسس الدولة الرستمية سنة160 هـ توفي سنة 171 هـ لمزيد من التفاصيل ينظر : علي بن احمد بن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ط5، القاهرة، دار المعارف، ب ت، ص511.

للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد بن يوسف اطفيش، كتاب شرح النيل وشفاء العليل، ج 14، ط2، لبيا – دار التراث العربي، جدة – مكتبة الارشاد، بيروت – دار الفتح، 1972، ص ص 272-274.

1- عدون جهلان، مصدر سبق ذكره، ص 130

2- Pirre cuperly, Inroduction aI ,ctude del, Ibadism , P291.

3- محمد رشيد رضا، الخلافة، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013، ص56.

اعتمد على احاديث الرسول (ﷺ) والبعض على سلوك الصحابة وأقوالهم والتابعين من بعدهم. لقد كان رأي المذهب الإباضية حول مسألة تعدد الائمة فهم يرون بعدم جواز أنَ يكون امامينَ للمسلمين الا في حالة واحدة، وهو أنَ يكون بينهما بحر، فأنَ لم يكن بحر وعقد لهما بطلت امامتهما، لأنَه لا يجوز أنَ يكون امامين في وقت واحد [1]. كما يضيف اطفيش على شرط وجود البحر بين الاقليمين وجود (جبار) لم يقدر عليه، ويعبر عنه الصائغي بالسلطان الجائر، وفي حال زوال هذا الجبار واتصال سلطان الإمامين انفسخت امامتها واختار المسلمون اماماً واحد منهما او غيرهما [2]. والقصد من ذلك وجود جائر بين الاقطار ويمنع تواصلها. وفي حال إقامة امامين في بلد وليس بينهما بحر أو امام جائر، فأنَ الإباضية يقفون حول هذه المسألة كموقف أهل السنة طبقا لقوله (ﷺ): «اذا ظهر امامان فاضربوا عنق أحدهما»[3]. اما في الوقت الحالي ترى الإباضية بجواز قيام امامين في كل اقليم، وهذا مسايرة للأوضاع العصرية في العالم الإسلامي.

المطلب الثاني \ شروط الإمام ونصبه والخروج عليه

عند الحديث عن الإمام لابُد والتعرف على طريقة التي يتم فيها اختيار الإمام، وماهي أهم الشروط من ناحية الكفاءة الخلقية، بالإضافة الى المراسيم التي يتم بها نصبه. واما في حالة انحرافه عما تعهد به، هل يجوز للمسلمين التظاهر والخروج عليه ؟.

اولاً \ شروط الإمام

يرى الإباضية بوجوب الإمامة واعتنائها بضروه تعيين الإمام، فهي ترى أنَّ تعيين الإمام يكون مشروطاً بتوفير العوامل المساعدة على إقامته، ونظراً لذلك فقد وضع علماء الإباضية العديد من الشروط التي ينبغي مراعاتها في اختيار الإمام وإعلان الدولة. وعند تتبع المؤلفات القديمة والحديثة نجد أنَ هذه الشروط قد اختلفت عند البعض على وفق الوضع الجغرافي السياسي للبيئات الإباضية في المشرق والمغرب. إذ نرى اشتراط اطفيش

1- ابراهيم بن قيس الحضرمي، مصدر سبق ذكره، ص189.

2- محمد بن يوسف اطفيش، شرح النيل وشفاء العليل، ج14، مصدر سبق ذكره، ص370.

3- مسلم بن الحجاج القشري النيسابوري، كتاب الامارة، مصدر سبق ذركره، ص 1853.

في ضرورة إلمام الإمام باللغة العربية[1] ولا نجد هذا عند أي من علماء الإباضية في المشرق العربي عدا الإمام الحضرمي[2] ولعل السبب يعود الى تفشي اللسان البربري عندهم بخلاف المشرق، اضافة الى الوضع السياسي الذي كان يحكم الإباضية في مراحل حياتهم المختلفة كان له التأثير في تحديد ملامح الإمام المختار للظهور، فما ذهب إليه الإمام الحضرمي من شرط العلم في الإمام [3] لم يذهب اليه الإمام السالمي إذ يقول: " أما الشرط في كون الإمام عالماً فهو شرط كمال لا شرط لصحة الإمام فأنَها تصح بغير العالم في وقت الضرورة والحاجة إليه "[4]. وقد أورد الشماخي الشروط المؤهلة للإمام وهي "كونه بالغاً، عاقلاً، ليس اعمى، ولا اصم، ولا اخرس، ولازماً، ولا مقطوع اليدين والرجلين، ولا ممن اقيم عليه الحد من قطع وجلد وأنَ يكون من أهل العلم والدين والودع، وأنَ يعقد له من أهل الولاية ستة رجال بالغين عاقلين من افضل المسلمين علما وورعاً ودِيناً. قال: والتاسع الا يعقدوا لأحد قبله من المسلمين الا أنَ يكون بينه بحر، فأنَ لم يكن بحر كان داعية للذي قبله"[5]. ويلاحظ مما سبق أنَ الإباضين قد ركزوا على شروط العلم والورع والتقوى[6] ومن ثم الصفات الأخرى الخُلقية كالصدق والوفاء بالعهد والاخلاق الحسنة.

إمامة المفضول

تعد قضية الفاضل والمفضول في الفكر العقدي الإسلامي منذ خلافة ابي بكر ومن بعده ساعد هذا على نمو هذه المسألة ونشأتها، وهذا ما ذهبت إلية الشيعة في تفضيل الإمام علي (عليهِ السلام) على الشيخين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) مما ادى الى حدو علماء الفرق الاخرى أنْ يبسطوا ادلتهم في مؤلفاتهم العقدية والفقهية.تذهب الإباضية في مسألة المفضول والفاضل من أئمة مذاهب الجواز، ولا يوجد اي مصدر اباضي سواء من المشارقة أم المغاربة من أنَكر ذلك، ماعدا البسيوني الذي خالف وقال بشرط الأفضلية،

1- عدون جهلان، مصدر سبق ذكره، ص140.

2- ابراهيم بن قيس الحضرمي، مصدر سبق ذكره، ص194.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4 -نور الدين عبدالله السالمي، جوابات الامام السالمي، ج1، سلطنة عمان، الامام السالمي، 2010، ص 565.

5- زهير تغلات، مصدر سبق ذكره، ص 267 (94).

6- - احمد بن موسى الكندي، المصنف، ج 10، مصدر سبق ذكره، ص 77.

ويرى اطفيش أنَ "ثبوت الإمامة لا يفيد القطع بالأفضلية "[1].وقول القطب: "ومذهبنا جواز إمامة المفضول، وعلي الاكثر"– أي اكثر المذهب – ولذا ترى الإباضية بأنَ المفضول قد يكون أحسن من الفاضل وأقوم منه في القيام بعمل ما، أو يكون أطوع للرعية، ولا ينقادون الا للمفضول [2]. وبذلك فالإباضية قد أجمعوا على أنَ الإمامة حق للجميع متى توفرت فيه الشروط المطلوبة للمتقدم ومستندين في ذلك بقوله تعالى: ﴿أَنَ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3]، وبذلك فهم لم يحصروا الإمامة في قبيلة او اسرة واحدة، كما أنَ النبي(ﷺ) كان قد ولى من عدة قبائل[4].وتعد مسألة ابعاد النسب القرشي من النقاط التي يلتقي فبها الإباضية مع الخوارج [5]. والإباضية ليسوا وحدهم الذين أولوا حديث " الائمة من قريش " بل وافقهم في ذلك البعض كأبن خلدون، وابو زهرة واخرون.اذا فالإباضية يستندون الى أنَ الإسلام لا ينوط بأمر الخلافة لفرد من الافراد أو بيت من البيوت أو طبقة من الطبقات[6]، وأنَ الحاكمية المطلقة لله تعالى، وبأنَ كل من حكم في الارض تحت الإسلام يعد خليفة لله، وأنَ الله تعالى وعد المؤمنين بدون استثناء بأنَ يستخلفهم، وأنَه لم ينص على استخلاف دون آخر، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [7]. ومن ثم ترى الإباضية أنَّ امامة المفضول على الافضل تحقق مصلحة الامة كان يكون المفضول أصلح للإمامة من الفاضل اذ المعتبر في كل أمر القيام به فقد يكون المفضول أقوم بها واعرف بشأنَها من الفاضل[8]. وبهذا الصدد يقول الماوردي: "ولو كان أحدهما أعلم والأخر أشجع روعي في الاختيار ما يوجبه حكم الوقت"[9]. ويلخص لنا الصائغي أهمية العقد ببيانَ أنَ «الإمامة فريضة والعقد فيها وسيلة، والفرض اذا وجب

1- محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، مصدر سبق ذكره، ص 578.
2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
3- سورة الحجرات، الآية (13).
4- سالم بن حمود، اصدق المناهج في تمييز الاباضية من الخوارج، سلطنة عُمان، ب د، ب ت، مخ 11.
5- زهير تغلات، مصدر سبق ذكره، ص 266 (95).
6- ابو الاعلى المودودي، نظام الحياة في الاسلام، بيروت، مؤسسه الرسالة، 1983، ص 25.
7- سورة النور، الآية (55).
8- محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، مصدر سبق ذكره، ص 597.
9- علي بن محمد الماوردي، مصدر سبق ذكره، ص 26.

بالأجماع لم يسقط بعدم الوسيلة ولا بتركها. وقيل أنَ الرضا والتسليم يقومانَ مقام العقد الصحيح أو أقوى منه. فاذا وقع الرضا والتسليم فأي عذر يبقى له»[1]. ومن هنا يتبين لنا أهمية العقد الذي هو نتيجة مباشرة للترشيح والمبايعة بقسميها، بيعة الانعقاد و بيعة الطاعة[*]. وبعد أنْ يتم تحديد القائمة المرشحة للإمامة وتكون حسب الوسائل والطرق المتاحة لذلك، يجتمع مجلس الشورى لأختيار واحد[2] ويتكون مجلس الشورى عادة من ستة اشخاص، وقد يتقلص الى اثنين معروفين بالعلم الوفير والفهم الكبير[3]. ومما يجدر الاشارة اليه بأنَه لا يمكن اختيار امام جديد حتى يتوفى الأول، ويقوم الإمام الجديد بدفن الإمام المتوفي والصلاة عليه، واذا لم يجد سبيلاً فليصل عليهِ قاضي المصر[4]، وأنَ لم يحضر عليهِ العدل، صلى الله عليه افضل أعلام المصر دينا[5]. وفي النهاية تتم عملية الاختيار ويقع الاجماع على واحد من المرشحين ويأتي دور البيعة للانعقاد ثم الطاعة. وتعد هذه من أهم المراحل في نصب الإمام.

ثانياً \ عزل الإمام والخروج عليه.

إنَّ الإمامة في نظر الإباضية من المسائل المهمة فالإمام يقع على عاتقه جميع التنظيمات الادارية منها والسياسية للدولة، مما أدى الى تشديد علماؤهم في مواصفات الإمام بما يحقق مصلحة الامة. لذلك تعد مسألة تنصيب الإمام ليست من القضايا السهلة في نظرهم كما أنَها ليست مبدأ للخروج على أئمة وسلاطين حتى ما أمكنهم ذلك.

1- فاروق عمر، مصدر سبق ذكره، ص18.

* بيعة الانعقاد : وهي عندما ينتهي اهل الشورى من تصفح المتقدمين الى منصب الخلافة، ويتميز الامام، ويقوم افضل الحاضرين فيظهر رغبتهم في الامام المرغوب فيه وهو ماي سمى بالإيجاب. ويقابله من جهة اخرى رضى المبايع على تحمل المسؤولية، وهو ما يسمى بالقبول. وهاتان العمليتان ضروريتان لأنها تعنيان «ان المبايع هو صاحب السلطة له حق الطاعة والنصر والانقياد».

اما بيعة الطاعة : فهي اعلان عن نتيجة اختيار المسلمين، لأنه من واجبهم التعرف على امامهم، وهي بذلك «تمنح الخليفة خضوع الامة لسلطته السياسية واعطائه عهدا بالموافقة على خلافته». ينظر : البيعة - الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الاخوان المسلمين اخوان ويكي - على الموقع الرسمي على الانترنيت :

2- Https : //www.ikhwan wiki. com. title = .

3- عوض خلفيات، مصدر سبق ذكره، 118.

4- فاروق عمر، مصدر سبق ذكره، ص 17.

5- محمد يوسف اطفيش، شرح النيل و شفاء العليل، ج14، مصدر سبق ذكره، ص334.

1 - عزل الإمام: لا يوجد شيء يميز الإمام الإباضي عن بقية المواطنين من ناحيه التبعات والمسؤوليات التي تحكمه بصفته مسلماً، ثم مسؤولا عن الامة. كما ليس لديه أي حصانة تحميه عن أي اجراء يتم اتخاذه، فف.ي حال اتخاذه قرارا معين غير قانوني، لا يتفق مع نصوص الشريعة الإسلامية وجب عليه تحمل التبعة من ماله الخاص[1]. فالإمامة عند الإباضية ليست مطلقة، وترتبط ارتباطا وثيقا مع التزام الإمام بتنفيذ الاحكام والاستقامة مع الحق والعدل[2].

ويمكن ايجاز العوامل التي توجب عزل الإمام:

أ- **ديني اخلاقي:** كخروجه عن الإسلام، أو أنَكار ركن من أركان الدين مما يخرجه عن الملة، او بأتباعه الشهوات المحرمة كالخمر والزنا، وأنَ التمادي فيها والاصرار عليها، على العلماء استتابته، فهو في امامته وأنَ جار ولم يعدل عما هو فيه وجب عزله[3].

ب- **أسباب خلقية:** كذهاب عقله، فالإجماع عليه معقود، لأنَه لا تزول عنه الاحكام، واما السمع والبصر والكلام ففيه اختلاف. أما بالنسبة للجنون، فإذا كان يفيق بين حين واخر يجن فهم مخيرون في عزله أو في تركه وكذلك هو الحال بالنسبة للسمع والبصر والكلام، فالأمر يكون متروكاً للمسلمين، فأنَ شاءوا عزلوه، كعلم من اعلامهم واقاموا من يقيم الاحكام[4]. وقد ورد القول بأنَ انتظار موته بدلا من عزله وهو على هذه حالته.

ت- **أقاله الإمام نفسه:** بما أنَه الإمامة تثبت بالإجماع فكذلك العزل يكون[5]، ولا يمكن لأمام المسلمين أنَ ينزع نفسه بدون موجب. اذا كان الإمام متوفرا فيه شروط الإمامة ورفض يُقتل - كما ذُكر سابقا - فأنَ عزل نفسه يكون اولى، إذ يقول اطفيش: "أنَ تبرأ الإمام من الإمامة بدون موجب لم يجيز له،

1- فاروق عمر، مصدر سبق ذكره، ص26.
2- فاروق عمر، مصدر سبق ذكره، ص 29.
3- محمد بن يوسف اطفيش، شرح النيل وشفاء العليل، ج14، مصدر سبق ذكره، ص338.
4- ابراهيم بن قيس الحضرمي، سبق ذكرى، ص 192.
5- احمد بن عبدالله الكندي، ج10، مصدر سبق ذكره، ص203.

وإنْ تاب من ذلك رجعت له، وقيل يستحب أنَ يجدد له العقد... واذا قال هذه امامتكم خذوها، استتيب... فأنَ تاب ثبت وأنَ أصر احتجوا عليه في تركه القيام وإصراره، وأقيم غيره"[1]. ومن هنا فأنَ الموجب للإقالة يخضع لمقاييس عدم الاستطاعة سواء من الناحية الدينية أو الخلقية ولابُد أنَ يتم ذلك بالإجماع أهل الحل والعقد.

المطلب الثالث \ أنَواع الإمامة

تمتاز النظرية السياسية عند الإباضية عن غيرها من النظريات الأخرى بطرحها نماذج وأنَواعاً من الإمامة، مختصة بكل وضع من الأوضاع المتغيرة التي قد تقع فيها الأمة الإسلامية.

والإباضية في عملهم السياسي لا يلجون الى العنف والقوة، بل كانوا يعتمدون على الدعوة والامتناع، الا في حالة الدفاع، وهذا ما يفسر سبب عدم خروجهم مع الخوارج والشيعة وأبن الاشعث و غيرهم ضد الأمويين، على الرغم من أنَكارهم وانتقادهم لأعمالهم الخارجة عن الكتاب والسنة.

لقد سمي الإباضية هذه الأنَواع (من الإمامة) بمسالك الدين، أي الطرق التي تؤدي الى إقامة الدين طبقاً لقوله تعالى: ﴿أَنَ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [2].ويعرفها اطفيش بقوله: "هي الطرق التي يتوصل بها الى أنَفاذ الأحكام الشرعية "[3]، كما ويعرفها التلاتي: "مسالك: اي الطرق الدين: أي الاحكام التي بعث بها نبينا محمد (ﷺ)، هي أربعة أشياء "، وهي الظهور، الدفاع، الشراء، الكتمان [4]. ولذا تعدّ هذه المسالك الاربعة من أهم ما يميز الإباضية في مجال الفكر السياسي، لأنَه يضع جملة من التعاليم والمبادئ يحدد الإباضية وفقها مواقفهم السياسية في مختلف الأحوال الزمانية والمكانية. الداخلية والمتعلقة

1- محمد بن يوسف اطفيش، شرح النيل وشفاء العليل، ج14، مصدر سبق ذكره، ص 346.

2- سورة الشورى، الآية (13).

3- محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، مصدر سبق ذكره، ص 195.

4- أحمد بن سعيد الشماخي وداود بن إبراهيم التلاتي، مصدر سبق ذكره، ص 69.وايضا :

Aicha Daddi addoun , Sociologie et histoire des algeriens Ibadites imp. ElArabia Ghardaia , 1977 , p 89.

بالشؤون الداخلية إذ توجد التجمعات الإباضية، أو الخارجية والمتمثلة في علاقاتهم مع الدول الاخرى فتضمن هذه المسالك لهم أساليب التكيف مع الحياة وتطورها. وقبل الخوض في الحديث عن تلك المسالك لابُد من التوضيح وهو عندما نضع إمامة الظهور في الأولوية نقصد بأنَها هي أعلى مراتب الإمامة عند الإباضية بل هي الغاية من مسالك الدين الأخرى. إلا أنَ بعض الباحثين يرون ترتيبها على النحو الآتي: (الكتمان – الشراء – الظهور – الدفاع). ويجيب الباحثون عن السبب في هذا الترتيب هو أنَ الفكر الإباضي في مراحله الأولى كان كتماناً وليس ظهوراً، وفي هذه المرحلة بايع إمام الكتمان مجموعة من الناس باعوا أنَفسهم لله وسموا أنَفسهم الشراة وذلك من اجل ارباك السلطة الحاكمة، والتي هي في نظر الإباضية جائزة. وعند نجاح ثوار الشراة والقاعدين من الإباضية في إقامة دولة لهم في أي مكان بايعوا رجلاً منهم ليكون إماماً للظهور في تلك البلاد، واذا ما جاءهم عدو و أسقط إمامة الظهور فعندها يقيمون إماماً يدافع عنهم ويسمى امام الدفاع، و اذا ما استمر العدو و دخل بيوتهم فيعودوا مرة أخرى الى مرحلة الكتمان[1].

أولاً \ مرحلة الظهور (إمامة الظهور)

تعدّ مرحلة الظهور هي أعلى مراتب الإمامة. ويعرفها اطفيش بأنَها: "الإمامة الكبرى لأنفاذ حقوق الله وحقوق العباد "[2]، وهي المرحلة التي ينبغي على كل مسلم أنَ يعمل من اجل الوصول إليها، وذلك من أجل الوصول لدين الله وإقامة أحكامه. وهي واجبة اذا ما توفرت شروطها، وهي أنَ يكون أهل الحق نصف عدوهم أو أكثر منه. قال تعالى: ﴿ لْأَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَ فِيكُمْ ضَعْفًا فَأَنَ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَأَنَ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ [3].فضلًا عن أنْ يكون معهم ما يكفيهم من سلاح ومال و علم[4]. وأعتمد الإباضية في هذه المرحلة على نماذج من سيرة الرسول (ﷺ) في مكة والمدينة، ففي مكة وبعد إسلام عمر بن الخطاب ظهر الإسلام قوياً، لقول الرسول (ﷺ): ((اللهم أيد

1- بكير اوعوشت، مصدر سبق ذكره، ص ص 107 – 110.

2- محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، مصدر سبق ذكره، ص 195.

3- سورة الانفال، الآية (66).

4- محمد بن يوسف اطفيش، شرح النيل وشفاء العليل، مصدر سبق ذكره، ص 309.

الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي الحكم ابن هشام))[1]، وكذلك سيرة الصحابة الكرام، ثم ظهر عبد الله بن يحيى (طالب الحق) في اليمن[2].ولم يحدد الإباضية العدد للظهور ولا الوقت اللازم، ولكن يجب الأخذ بنظر الاعتبار القوة ومدى تمكن المسلمين من النصر والوصول الى الحكم، (فربما قدر الرجل في الأربعين، وربما يقدر في عشرة آلاف، وربما ينظر في تبليغ الحجة)[3].

ثانياً \ مرحلة الدفاع (إمامة الدفاع)

تعدّ هذه المرحلة أقل مرتبة وأنَزل درجة من مرحلة الظهور، وقد سميت بذلك لأنَ المسلمين يشغلهم الدفاع عن أنَفسهم ودينهم من أجل إقامة دولة والظهور على اعدائهم. إذ يقول اطفيش: "الدفاع فرض وهو القتال لمريد قتلك، أو أخذ سلاحك، أو مريد ضر من الزمك بقتل أو أخذ سلاح ولباس"[4]. وبهذا يبايع الناس إماماً يقاتل بهم عدوهم و يقاتل معهم يقتدون به و برأيه في القتال والدفاع و يزول الإمام بزوال القتال. والدفاع في مسالك الدين يرادف ما يعبر عنه في العصر الحاضر بالثورة[5].

ثالثاً \ مرحلة الشراء (إمامة الشراء)[*]

عندما يضعف المسلمون حتى عن موقف الدفاع، ويحكم العدو، أو السلطان الجائر ويعرض سيطرته، يكون الشراء حقاً للمسلمين، وهو ليس بواجب، والعلماء (لم يجعلوا حال الشراء الوجوب)[6]

1 -علي بن ابي الكرم (ابن الأثير)، الكامل، ج 2، مصر، مطبعة المنيرية، 1966، ص 32.

2- للمزيد من التفاصيل ينظر : أحمد بن سعيد الشماخي، ج 1، مصدر سبق ذكره، ص 113 – 141.

3- أحمد بن عبدالله الكندي، ج 10، مصدر سبق ذكره، ص 51.

4- محمد بن يوسف اطفيش، شرح النيل وشفاء العليل، مصدر سبق ذكره، ص 303.

5 -علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الاباضي، ط1، القاهرة، مطبعة دار الكتب العربي، 1964، ص 82.

* تعني شراء الانسان نفسه من النار او شراء الجنة. ينظر : محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، مصدر سبق ذكره، ص 195. و الشراة بالجمع، هم الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله. ينظر : عمرو خليفة النامي، مصدر سبق ذكره، ص 278.

6- محمد بن يوسف اطفيش، شرح النيل و شفاء العليل، مصدر سبق ذكره، ص 310.

وهو خلافهم مع الخوارج الذين عدوا الشراء واجباً فردياً[1]. وتعني الذين باعوا أنَفسهم في سبيل الله مستندين بقوله تعالى: ﴿أَنَ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْأَنجِيلِ وَالقرآن وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[2].وامام الشراء لا يحق له أنَ ينزع نفسه مثل امام الدفاع[3]. و يكون عدد الشراء ما لا يقل عن أربعين رجلاً ويكون الأكثر رجالاً والأقل نساءً[4]. ولعل من أمثلة الشراة هو ابو بلال مرداس بن أديه إمام القعدة[5].وهناك اختلاف بين الشراء والدفاع إذ ان طريقة الدفاع يعتمد على مواجهة العدو ميدانياً، اما الشراء فيتميز بمباغتته في كل مكان، وعدم مهادنة الظلم[6].ويضيف الحضرمي شرطاً مهماً وهو أنَ يكون من ضمنهم ستة رجال في الأقل يكونون من أهل علم بأصول الدين والفقه، ذوي ورع وصلاح في الدين، فإذا اجتمع في أهل الدعوة هذا الوصف وجب عليهم أنَ يعقدوا الإمامة لأفضلهم في الدين والعلم والورع[7]. وبذلك يعد نظام الشراة نظاماً ثورياً يعتمد على التخطيط الدقيق ومن ثم التنفيذ المحكم والوقوف ضد الظلم والجور، ويتميز الإباضية عن غيرهم من الفرق الإسلامية بهذا النظام، كما ويعدّ من أدق الأساليب التي وضعها علماء وفقهاء الإباضية من أجل إخراج المسلمين من وضعية هم فيها ضعفاء لا يملكون بها قوة ولا مالاً وهم الفئة القليلة التي جاز لها الخروج خدمة لامتها.

وأخيراً يقول اطفيش: " الشراء اختص به الإباضية ولا ينصرف ذلك الى غيرهم، ولم يُعرف الشراء في غير الإباضية، وهذا هو الحق "[8].

1- سورة التوبة، الآية (111).

2 -عمرو خليفة النامي، دراسات عن الاباضية، ب م، دار الغرب الإسلامي، 2001، ص 280.

3- أحمد بن عبدالله الكندي، ج 10، مصدر سبق ذكره، ص 191.

4 -محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ط1، جمعية التراث القرارة – غرداية، الجزائر، 2001، ص 196.

5- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

6- عدون جهلان، مصدر سبق ذكره، ص 151.

7- إبراهيم بن قيس الحضرمي، مصدر سبق ذكره، مخ 189 – 190، ص ص 189 – 190.

8 -بكير بن بلحاج و علي، الامامة عند الاباضية – بين النظرية والتطبيق مقارنة مع اهل السنة والجماعة، ج1، سلطنة عُمان، مكتبة الضامري، 2010، ص 328.

رابعاً \ مرحلة الكتمان (إمامة الكتمان)

تعدّ مرحلة الكتمان هي المرحلة الاخيرة من مراحل التنظيمات السياسية عند الإباضية والكتمان هو (المحافظة على الدين بحيث لو ظهر لعطل ومنع منه، ثم ضيع دينه فليس جارياً على حكم الكتمان)[1].

وإمامة الكتمان هي (من كتم يكتم كتماناً أي أخفى)[2]. وتعدّ أقل المراتب في مسالك الدين والتي يلجأ اليها الإباضيون في حال كان عددهم و عدتهم اقل من نص عدوهم [3]، وفيها تقل القوة وتضعف النفوس، لذلك يعجز المسلمون الرد على الظالم وأنَكار المنكر بالقلب[4]. اذاً فالنشاط السياسي حينها سينحسر ويقتصر الدور على النشاط الديني ونتيجة لمسلك الكتمان ظهر لدى الفكر الإباضي ما يسمى بـ (التقية) لقد سلك الإباضية مسلك التقية بمعنى أنَهم يتقون بعضهم بعضاً ويظهرون الصلح والاتفاق وباطنهم خلاف ذلك[5] فقدت سمحت الإباضية لأتباعه أنَ يستعملوا رخصة خاصة في ظل مبدأ التقية الدينية من أجل تجنب عقوبة الموت[6]. وذهب الكندي الى أنَ التقية تصح فقط في حال إجبار من بيده السلطة على فعل عكس الحق تحت تهديد بالعقوبة التي تؤدي الى الهلاك أو الأذى الكبير.

وقد قسم التقية على ثلاثة اقسام:

أ- فريضة: في حال الخوف على الدين.

ب- الجواز: في حال الخوف على النفس والمال.

ت- عدم الجواز: في حال الخوف على المنصب والعرض.

وختاماً المبحث بقول فاروق: "وهنا لا بد من القول بأنَ المذهب الإباضي أظهر مرونة واعتدالاً ونظرة توفيقية بحيث يتلاءم مع الأوضاع السياسية والاجتماعية، وفي ذلك يكمن سر نجاح الإباضية واستمرارها لأكثر من أثني عشر قرناً من الزمان" [7].

1- محمد بن يوسف اطفيش، شرح مقدمة التوحيد، مصدر سبق ذكره، ص195.

2- احمد بن سعيد الشماخي و داود بن ابراهيم التلاتي، مصدر سبق ذكره، ص 74.

3- عمار الطالبي، مصدر سبق ذكره، ص 238.

4- علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، مصدر سبق ذكره، ص 84.

5 -ابن منظور، لسان العرب، ج 15، ط 3، لبنان - بيروت، دار احياء التراث العربي، 1999، ص 379.

6- أحمد بن عبدالله الكندي، ج 10، مصدر سبق ذكره، ص ص 188 - 259.

7- فاروق عمر، مصدر سبق ذكره، ص 32.

الخاتمة

يتضح لنا من خلال دراستنا لتاريخ الإباضية أنَها نشأت وترعرعت في مدينة البصرة في القرن الأول الهجري وهم امتداد للمُحكَّمة الأولى الذين رفضوا التحكيم وأنَشقوا عن الامام علي بن ابي طالب، وقد قام بتأسيسها مجموعة من التابعين، ومن أبرز هؤلاء الدعاة هو جابر بن زيد وعبدالله بن اباض. إذ قاموا بتأسيس النظام السري في الدعوة أو ما يسمى لدى الإباضية بمرحله الكتمان. وقد تميزت هذه المرحلة بالنضج السياسي الإباضي وكان ذلك من خلال الاساليب التي اتبعوها في علاقاتهم التنظيمية في الدعوة. والتي لم تستطع السلطات المتعاقبة في البصرة أنْ تضع يدها على هذه الفرقة السرية والمتمثلة بالدقة والتحفظ على دعاتهم. كما اتضح لنا من الدراسة أنَّ عبدالله بن اباض لم يكن هو القائد المؤسس للفرقة الإباضية فهو كان المتحدث الرسمي بأسم الفرقة، وأنَ الفقيه التابعي جابر بن زيد الازدي اضافة الى مجموعة من المشايخ هم المؤسسون الحقيقيون للدعوة. وأخيراً توصلنا الى صحة الفرضية حول الامامة فقد أجمعت المصادر الإباضية على أنَ مسألة الامامة من المسائل التي تمت معالجتها من قبل الإباضية فهم يرون بوجوب الامامة وأنَ اطاعة أولي الامر واجبة لأنَ الله تعالى ورسوله الكريم وامروا بذلك، لكنهم من الناحية العملية لم يعترفوا سوى بأئمتهم بأستثناء الشيخين ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب. وقد قاموا بتعريف الامامة " بمن له الرئاسة العامة في الدين والدنيا وأنَ اقامتها هي من اجل اقامة احكام الله تعالى"، فقد وضعوا العديد من الشروط. ولم تعدّ الإباضية الشرط القرشي من الشروط الافضلية، كما يرون بجواز امامة المفضول مع وجود الافضل. كما نظروا في مسألة الخروج على الامام الجائر بأنَه غير جائز، وفي حالة جواز الخروج فذلك يكون بشرط وهو عدم هلاك الامة، فضلاً عن تأكدهم من نجاح التغيير. اما بالنسبة الى عزل الامام فيرون بأنَه لا يجوز اقالة الامام نفسه الا برأي الجماعة، فضلاً عن عدم جواز للرعية في عزله الا بحدث. كما أنَهم لم يضعوا للإمام أي حقوق تميزه عن عامة الناس فإذا أخطأ في سياسته، أو اتخذ قراراً وجب عليه أنَ يتحمل الضرر الناجم عنه. أجازت الإباضية تعدد الامامات في الامة المسلمة وذلك بشرط منها اتساع رقعتها ووجود فاصل – أي وجود بحر –

أو قطع بين أجزائها سلطان جائر. بحيث يعسر حكمها بنظام واحد. وأخيراً فقد تميزت الإباضية عن غيرها بطرحها نماذج وأنَواع للإمامة مختصة بكل وضع من الأوضاع المتغيرة التي تمر بها. وهي أربعة أنَواع (امامة الظهور- امامة الدفاع - امامة الشراء - امامة الكتمان) فإمامة الظهور هي الاصل التي تقوم عليه الامامة الكبرى، أما أمامة الكتمان فتمثل بالإمامة الصغرى، اي القدرة على اقامة الحدود وحفظ الثغور، الى العجز عن رد المظالم. أما الامامتان الدفاع والشراء فهما تتعلقان بوضع غير مستقر للجماعة لأنَهما تمثلان لوضع الحرب والتأهب الدائم للهجوم أو الدفاع. وهكذا تميزت الإباضية عن غيرها من الفرق كونها اتسمت بأستقلال فكري وأصول واضحة.

المصادر

اولاً / القران الكريم

ثانياً / المعاجم والموسوعات

1. ابن منظور، لسان العرب، ج1، ط3، بيروت، دار احياء التراث العربي، 1999.
2. ابن منظور، لسان العرب، ج12، بيروت، دار صادر، ب ت، ص 142،1999
3. ابن منظور، لسان العرب، ج 15، ط 3، لبنان – بيروت، دار احياء التراث العربي، 1999.
4. احمد مختار عمر،معجم اللغة العربية المعاصرة، مجلد1، ط1، القاهرة، عالم الكتب،2008، ص 54.
5. اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج5، ط4، بيروت، دار العلم للملايين، 1990، ص 1902.
6. باقر شريف القرشي، موسوعة الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب،ج 10، النجف الاشرف، مركز تحقيق علوم الاسلامي، ب ت.
7. عبدالله بن عبدالعزيز البكري الاندلسي، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ج3، ط3، لبنان، بيروت، عالم الكتب،1983.
8. مانع بن حماد الجهني وآخرون، الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، مجلد1، ط5، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ب ت.
9. مجد الدين الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة،2005.
10. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، بيروت، دار الصادر، ب ت.
11. ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار الصادر، ب ت،ص414.

ثالثاً / الكتب العربية والمترجمة

1. ابو الاعلى المودودي، نظام الحياة في الاسلام، بيروت، مؤسسه الرسالة، 1983.
2. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 2، بيروت، دار الفكر، 2000.

3. ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ط2، الرياض، دار طيبة، 1985.

4. ابن قتيبة، المعارف، ط4، القاهرة، دار المعارف، ب ت.

5. ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، بيروت، مكتبة المعارف، 1992.

6. ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين،ط2، القاهرة،المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، ب ت.

7. احمد بن اعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج 4، ط1، لبنان-بيروت، دار الاضواء، 1990.

8. احمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، ج1، ط2، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1992.

9. احمد بن عبدالله بن موسى الكندي، المصنف، ج10، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1998

10. احمد بن علي العسقلاني، فتح الباري، ج12، ب م، المكتبة السلفية، ب ت.

11. احمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج1، ط1، مصر، مطبعة التقدم العلمية، 1901.

12. احمد بن يحيى البلاذري، انساب الاشراف، ط 1، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، 1974.

13. احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، جمل من انساب الاشراف، ج3،ط1، بيروت،دار الفكر، ب ت.

14. اسماعيل محمد، قضايا في التاريخ الاسلامي منهج، ط2، المغرب – دار البيضاء، تطبيق دار الثقافة، 1981.

15. السيد المرعشي، شرح احقاق الحق، ج32، ط1، ب م، ب د، 1996.

16. بكير بن بلحاج و علي، الامامة عند الاباضية – بين النظرية والتطبيق مقارنة مع اهل السنة والجماعة، ج1، سلطنة عُمان، مكتبة الضامري، 2010.

17. تبغورين الماشلوطي، أصول الدين او الأصول العشرة عند الاباضية، ط1، سلطنة عمان، مكتبة الجيل الواعد، 2005.

18. جعفر السبحاني، بحوث في الملل والنحل دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الاسلامية،ج5، ط1،ايران، مؤسسة الامام الصادق، 2007.

19. زاهر الحجري، الاباضية في الغرب الاسلامي، سلطنة عُمان، دار الجيل الواعد، 2012.

20. زهير تغلات، الفكر الاباضي – التجليات السياسية والحضارية، سوريا، دار الحوار، 2016.

21. سالم بن حمود السيابي، ازالة الوعثاء عن اتباع ابي الشعثاء، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1979.

22. سالم بن حمود السيابي، اصدق المناهج في تمييز الاباضية من الخوارج، سلطنة عُمان، ب د، ب ت.

23. عبد الرحمن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج5، لبنان – بيروت، دار الكتب العلمية، ب ت.

24. عبد اللطيف بن عبدالله القادر الحفظي، تأثير معتزلة في الخوارج والسنة، ط1، جدة، دار الاندلس الخضراء، 2000.

25. عدون جهلان، الفكر السياسي عند الاباضية من خلال اراء الشيخ يوسف اطفيش،سلطنة عُمان، مكتبة الضامري، ب ت.

26. علي النمازي الشاهرودي، مستدركات علم الرجال الحديث،ج 7،ط1، قم، مؤسسه النشر الاسلامي، 2005.

27. علي بن ابي الكرم (ابن الأثير)، الكامل، ج 2، مصر، مطبعة المنيرية، 1966.

28. علي بن احمد بن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ط5، القاهرة، دار المعارف، ب ت.

29. علي بن الحسين الهاشمي، وقعة النهروان او الخوارج،لبنان-بيروت، مؤسسة المفيد، ب ت.

30. علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج 2، بيروت، مكتبة العصرية، 1988.

31. علي محمد الصلابي، فكر الخوارج والشيعة في ميزان اهل السنة والجماعة، ط1، القاهرة، دار ابن حزم، 2008.

32. علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث،ط2، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي، 1994.

33. علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الاباضي، ط1، القاهرة، مطبعة دار الكتب العربي، 1964.

34. علي يحيى معمر، الاباضية مذهب اسلامي معتدل،ط2، سلطنة عُمان، وزارة الاوقاف والشؤن الدينية، ب ت.

35. عمرو خليفة النامي، دراسات عن الاباضية، ب م، دار الغرب الإسلامي، 2001.

36. عوض محمد خليفات، التنظيمات السياسية والادارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان، سلطنة عُمان، مسقط، ب د، ب ت.

37. عوض محمد خليفات، الاصول التاريخية للفرقة الاباضية، ط3، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1994.

38. عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الاباضية، ط1، سلطنة عُمان، ب د،2002.

39. فاروق عمر، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، ط 2، بغداد، مكتبة النهضة، 1985.

40. قحطان الدوري، عقد التحكيم في الفقه الاسلامي والقانون الوضعي، ط2، عمان، الأردن، دار الفرقان، 2002.

41. محمد ابراهيم الفيومي، الفرق الاسلامية وحق الامة السياسي، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1998.

42. محمد امين (ابن عابدين)، رد المحتار على الدر المختار شرح تنويرالابصار،ج8،الرياض، دار الكتب،2003.

43. محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك،ج4، مصر، دار المعارف، ب ت.

44. محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج5، ط2، مصر، دار الكتب العلمية،1971.

45. محمد بن سعد الزهري، كتاب الطبقات الكبير، ج 3، ط1،القاهرة، مكتبة الخانجي،2001.

46. محمد بن سعيد القلهاتي، الكشف والبيان،ج 2، مصر، ب د،1980.

47. محمد بن منعم الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ط2، بيروت، مكتبة لبنان، 1975، 1984.

48. محمد بن يوسف اطفيش، كتاب شرح النيل وشفاء العليل، ج 14، ط2، لبيا – دار التراث العربي، جدة – مكتبة الارشاد، بيروت – دار الفتح، 1972.

49. محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ط1، جمعية التراث القرارة – غرداية، الجزائر، 2001.

50. محمد رشيد رضا، الخلافة، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013.

51. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ط10، لبنان –بيروت، دار الفكر المعاصر،، سوريا – دمشق، دار الفكر، 1991.

52. محمد صابر عرب، الدولة في الفكر الاباضي، ط3، القاهرة، دار الشروق، 2014.

53. محمد قرقش، عمان والحركة الاباضية، ط2، سلطنة عُمان،مكتبة مسقط،1994.

54. محمود اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد الغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري،ط1، دار البيضاء، مطبعه النجاح الجديدة، ب ت.

55. مصطفى بن محمد، الفكر العقدي عند الاباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، سلطنة عُمان، مكتبة الضامري، ب ت.

56. ناصر سليمان بن سعيد السابعي، الخوارج والحقيقة الغائبة، ط1، ب م، ب د،1999.

57. نور الدين عبدالله السالمي، جوابات الامام السالمي، ج1، سلطنة عمان، الامام السالمي، 2010.

58. هشام جعيط، الفتنه جدلية الدين والسياسة في الاسلام المبكر، ترجمة : خليل احمد، ط6، بيروت، دار طليعة، 2008.

رابعاً \ الانترنيت و الكتب الاجنبية

- ابي عبد المعز محمد علي، فتاوي منهجية، ينظر شبكة الانترنيت على الموقع الرسمي...https://:com:ferkous.

- Aicha Daddi addoun , Sociologie et histoire des algeriens Ibadites imp. ElArabia Ghardaia , 1977.

- Pirre cuperly, Inroduction aI ,ctude del, Ibadism.